



بالمرجبي

سميرة رجب

ثقافة وطنية جديدة... الاحتلال سبيل الخلاص

ضمن سلسلة الدعوات واللقاءات التي تبحث عنها السفارة الأمريكية في البحرين، كان ذلك اللقاء الأخير للسيد روبرت فورد، نائب السفير الأمريكي، في منزله، مع مجموعة صغيرة من الكتاب والصحفيين البحرينيين، الذين توزعت هوياتهم ما بين اليمين واليسار ومن أعطى نفسه، أثناء الحوار، نصف هوية عربية ونصف غربية، حسبما ادعوا تمثيلهم «للجيل الجديد الذي يحمل نصف عقلية عربية ونصف غربية»، حيث كنت بين المدعويين.

إن أشد ما يُحزن في تلك اللقاءات، أن تسمع حضوراً بحريناً يقدم التنازلات الوطنية كما يطالب بالاحتلال أو التواجد الأمريكي على كامل الأرض العربية بدعوى ديكتاتورية الأنظمة في منطقتنا، لأن هذا الاحتلال والتواجد سوف يكون بمثابة الحارس الأمين على تحقيق الديمقراطية وحل الأزمات السياسية في المنطقة... هكذا بكل بساطة، وبكل سذاجة سياسية... يمحو، (مثقفونا!) من الجيل الجديد واليسار القديم، أكثر من نصف قرن من الممارسات الأمريكية في ضرب الديمقراطية في منطقتنا وفي العالم أجمع... تلك الممارسات التي لا زالت مستمرة في صناعة هذه الأنظمة الديكتاتورية، ودعمها، مادامت لا تقول كلمة رفض واحدة لهذا التواجد (الاحتلال) الذي يسلب الأمة ثرواتها وتنميتها وتراثها وكرامتها الوطنية.

وأشد ما يُحزن أيضاً، أن تسمع أحد كُتابنا وإعلامييننا وهو يهمس في أذن ممثل السلطة الأمريكية بعدم الانسحاب من العراق لأن ذلك سوف يسبب حرباً أهلية لا أول لها ولا آخر... هكذا... ببساطة شديدة أعطى نفسه الحق بهذا التصريح وكأنه من أكبر علماء الاجتماع العارفين بالمجتمع العراقي وأكثرهم علماً بتاريخ وديموغرافية العراق... متجاهلاً دور المقاومة العراقية الجبارة التي هي اليوم محط أنظار كل العالم لما سوف يكون لها من تأثيرات في موازين السياسة الدولية... ومتجاهلاً دور الأمم المتحدة في هذه القضية... ذلك الدور الذي قال عنه روبرت فورد، في رده على سؤالي «نحن ألعينا دور الأمم المتحدة».

يقول روبرت فورد «نحن نريد تسليم السلطة في العراق للعراقيين لأننا نريد التخلص من (وجع الرأس) هذا... لقد كلفنا تواجدنا هناك الكثير... ولكن لا يوجد في العراق قانون للانتخابات وقضايا أخرى كثيرة مطلوبة لتلك الانتخابات»... وكأن العراق هو إحدى جزر الواق واق، بدون أنظمة ولا قوانين... بدون حضارة أو مدنية... رغم ان العراق كان يتمتع ببرلمانات منتخبة منذ الثلاثينيات من القرن الماضي... وعند سؤالي عن تلك القوانين العراقية القديمة، كان جوابه «لا أعلم شيئاً بخصوص تلك القوانين»... ولكن جواب إخواني البحرينيين كان نجدة كبيرة لحيرة نائب السفير، حيث جاء الرد بإقصائهم لكل القيم الديمقراطية من تلك القوانين العراقية... وعند سؤال سعادة نائب السفير، حول هل يمكن أن يكون هناك ديمقراطية في ظل الاحتلال في أية بقعة من العالم، أو في أي عصر من عصور التاريخ، كان جوابه السكوت.

هكذا كان موقف (مثقفيينا؟) من اليسار البحريني في الدفاع عن الاحتلال الأمريكي للعراق أكثر استبسلاً من الدفاع الأمريكي... حيث تحولوا إلى أمريكيان أكثر من نائب السفير الأمريكي... وأمريكان أكثر من ملايين الأمريكيين الذين يجولون بالتظاهرات في جميع الولايات الأمريكية ضد هذه الحرب غير الإنسانية، وضد هذا الاحتلال غير الحضاري، وضد سياسات الولايات المتحدة التي تخلق لهم كل يوم آلاف الأعداء في جميع أنحاء العالم... هذه هي الثقافة الوطنية الجديدة التي تعتمد عليها الإدارة الأمريكية في وضع استراتيجياتها للقرن الأمريكي الجديد... وهذا هو الإعلام الجديد، وهؤلاء هم الإعلاميين الجدد المسنودون بواسطة الإدارة الأمريكية لنشر مفاهيم جديدة للكرامة الوطنية والإنسانية في قبول جحافل الاحتلال.

ولكن... السؤال الذي كان يراودني في ذلك اللقاء، وما زال، هو، لماذا لا يقدم هؤلاء ولاءهم الكامل لحكوماتهم بدلاً من الأجنبي... فالكلام عن الدكتاتورية أصبح فضفاضاً... وتلك الديكتاتوريات العربية الصغرى لها صنيعا الديكتاتورية الأمريكية الكبرى... فلماذا لا يقدمون الولاء للديكتاتوريات الصغرى، لحكوماتهم... أليس بالإمكان أن يحقق ذلك نصراً وطنياً لا يمكن، بأي حال من الأحوال، تحقيقه في ظل الاحتلال والتواجد الأجنبي... ولا في ظل الولاء للأجنبي... أم ان هذه الولاءات تنحصر في مواقف شخصية بهدف الحصول على مكاسب وامتيازات من أي طرف يمكن تسلقه، وأي طرف يدفع أكثر؟؟؟